المبحث الخامس
حفر الخندق

أين حفر الخندق؟:

يقول أ/ باشميل: «لقد كانت الخارطة التي وُضعت على أساس مشروع سلمان الفارسيﷺ لحفر الخندق تقضي بحفر خندق رئيس يمتد من الطرف الغربي لجبل «سلع» حتى طرف «حرة الوبرة» المطبقة على المدينة من الناحية الغربية، على أن يمر هذا الخندق بشكل قوس في الطرف الشرقي للحرة المذكورة، ثم يمتد على خط شبه مستقيم أمام جبل سلع متجهًا نحو الشرق حتى أطراف «حرة واقم» المطبقة على المدينة من الناحية الشرقية، فيفصل تمامًا بين معسكر الأحزاب الواقع في الناحية الشمالية حول أُحُد ومجمع الأسيال، وبين معسكر الإسلام الواقع أمام جبل سلع وعند مداخل المدينة الشمالية الواقعة ما بين الحرتين.

كما يتناول المشروع حفر خنادق جزئية ثانوية يرتبط بعضها ببعض تمتد من طرف الخندق الرئيس عند الطرف الغربي لجبل سلع وتتجه جنوبًا حتى مجمع وادي بطحان [(١)] ورانونا بحيث تجيء هذه الخنادق المترابطة خلف المسجد النبوي من الناحية الغربية.

وبموجب الخريطة الموضوعة للخندق شرع رجال الجيش في حفره فورًا، وكان الرسول القائدﷺ يشترك معهم في الحفر، فكان يعمل كأي فرد من المسلمين حتى انتهى حفرُ الخندق.

وقد باشر جند الإسلام في الحفر بجد وتصميم ومثابرة، وكانت قيادة المدينة قد قررت بذل الجهد لإنجاز حفر الخندق قبل أن تصل جيوش الأحزاب إلى ضواحي المدينة، وذلك أن هذا الخندق هو الذي سيكون خط الدفاع الرئيس عن العاصمة؛ ولهذا كان لابد من إنجازه قبل وصول جيوش العدو.

[غزوة الأحزاب لباشميل ١٣١-١٣٢].

قَالَ الوَاقِدِيُّ: فَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ جَهْمٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَكِبَ فَرَسًا لَهُ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَارْتَادَ مَوْضِعًا يَنْزِلُهُ فَكَانَ أَعْجَبَ الْمَنَازِلِ إِلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ سَلعًا (الجبل المعروف بسوق المدينة) خَلْفَ ظَهْرِهِ، وَيُخَنْدِقَ مِنْ الْمَذَادِ (اسم أطم لبني حرام من بني سلمة غربي مسجد الفتح) إِلَى ذُبَابٍ (جبل بالمدينة له ذكر في المغازي والأخبار) إِلَى رَاتِجٍ (الجبل الذي أعلى جنب جبل بني عبيد غربي بطحان). [المغازي للواقدي ٢/ ٤٤٥].

---

(١) **بُطْحان** بضم فسكون عند المحدثين، وحكى أهل اللغة بَطِحان بفتح أوله وكسر ثانيه وهو: واد بالمدينة وهو أحد أوديتها الثلاثة: العقيق وبطحان وقناة. وقد روى الزبير بن بكار: بطحان على ترعة من ترع الجنة. ينظر: المغانم المطابة ٥٦، والنهاية في غريب الحديث ١/ ١٣٦. مرويات غزوة الخندق ١٩٤.

وقَالَ الوَاقِدِيُّ: وَحَدَّثَنِي أَفْلَحُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: كَانَ الخَنْدَقُ الَّذِي خَنْدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا بَيْنَ جَبَلِ بَنِي عُبَيْدٍ إِلَى رَاتِجٍ، وَهَذَا أَثْبَتُ الأَحَادِيثِ عِنْدَنَا.

وَذَكَرُوا أَنَّ الخَنْدَقَ لَهُ أَبْوَابٌ، فَلَسْنَا نَدْرِي أَيْنَ مَوْضِعُهَا. [المغازي للواقدي ٢/ ٤٥١-٤٥٢].

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ المُزَنِيُّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَّ الخَنْدَقَ مِنْ أَحْمَرِ السَّبْخَتَيْنِ [(١)] طَرَفِ بَنِي حَارِثَةَ عَامَ حَزَّبَ الأَحْزَابَ حَتَّى بَلَغَ المَذَاحِجَ، فَقَطَعَ لِكُلِّ عَشَرَةٍ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، وَاحْتَجَّ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ فِي سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ، وَكَانَ رَجُلًا قَوِيًّا، فَقَالَ المُهَاجِرُونَ: سَلْمَانُ مِنَّا، وَقَالَتِ الأَنْصَارُ: سَلْمَانُ مِنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ**».

[مجمع الزوائد ٦/ ١٨٩ في المغازي والسير (١٠١٣٧)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ٦/ ٢١٢ رقم ٦٠٤٠]، وفيه كثير بن عبد الله المزني وقد ضعفه الجمهور وحسن الترمذي حديثه، وبقية رجاله ثقات. وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٦٩١ رقم ٦٥٤١، وقال الذهبي: «سنده ضعيف». دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٤١٨].

الجيش هو الذي حفر الخندق:

يقول أ/ باشميل: «وكان الذي قام بحفر الخندق هم أفراد الجيش الإسلامي فقط بما فيهم النبي القائد ﷺ؛ لأنهم ليس لهم خدم ولا عبيد (كالأمم الأخرى) يسخرونهم لمثل هذا العمل العسكري الشاق.

وبالرغم من أن يهود بني قريظة هم من سكان يثرب ومواطنون ملزمون (بموجب المعاهدة المعقودة بينهم وبين المسلمين) بالمشاركة في حفر الخندق، كعمل من أعمال الدفاع عن المدينة، فإن هؤلاء اليهود لم يشارك منهم أحد في عملية حفر الخندق، وكان هذا أول عمل (غير ودي) ومخالفًا لنصوص المعاهدة قام به يهود بني قريظة.

ومن أجل إنجاز حفر الخندق (قبل وصول جيوش الأحزاب) أجهد الجيش نفسه في العمل، فكانوا يعملون في الحفر طيلة النهار ولا يستريحون إلا في الليل، وكان النبي القائد ﷺ يُشرف بنفسه على أعمال الحفر، ويحفر بيده الكريمة مع المسلمين حتى تم إنجاز الخندق». [غزوة الأحزاب لباشميل ١٣٢-١٣٣].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا أَجْمَعُوا لَهُ مِن الأَمْرِ ضَرَبَ الخَنْدَقَ عَلَى المَدِينَةِ، فَعَمِلَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرْغِيبًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي الأَجْرِ، وَعَمِلَ مَعَهُ المُسْلِمُونَ فِيهِ فَدَأَبَ فِيهِ وَدَأَبُوا، وَأَبْطَأَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ المُسْلِمِينَ فِي عَمَلِهِمْ ذَلِكَ رِجَالٌ مِن المُنَافِقِينَ وَجَعَلُوا يُوَرُّونَ بِالضَّعِيفِ مِنْ العَمَلِ، وَيَتَسَلَّلُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ بِغَيْرِ عِلمٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا إِذْنٍ.

---

(١) كذا في المجمع ٦/ ١٣٠ ـ أحمر السبختين ـ وفي بقية الكتب ورد غير ذلك، ولعله تصحيف فقد جاء عند الطبري في جامع البيان ٢١/ ١٣٣ ـ أحمر الشيخين ـ وفي تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٤٥ أجم الشيخين، وفي دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٤٠٠ الأجم ـ السمر ـ وهذا هو الحق لأن الأجم هي الحصون، وفيه (حتى توارت بآجام المدينة) أي حصونها واحدها أُجُم بضمتين. النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٦. مرويات غزوة الخندق ١٨٣.

وَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنْ الـمُسْلِمِينَ إِذَا نَابَتْهُ النَّائِبَةُ مِنْ الحَاجَةِ الَّتِي لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا، يَذْكُرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي اللُّحُوقِ بِحَاجَتِهِ، فَيَأْذَنُ لَهُ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ فِيهِ مِنْ عَمَلِهِ؛ رَغْبَةً فِي الخَيْرِ وَاحْتِسَابًا لَهُ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢١٦].

وقَالَ الوَاقِدِيُّ: فَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ جَهْمٍ...: فَعَمِلَ يَوْمَئِذٍ فِي الخَنْدَقِ، وَنَدَبَ النَّاسَ، فَخَبَّرَهُمْ بِدُنُوِّ عَدُوِّهِمْ، وَعَسْكَرُهُمْ إِلَى سَفْحِ سَلْعٍ، وَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَعْمَلُونَ مُسْتَعْجِلِينَ يُبَادِرُونَ قُدُومَ العَدُوِّ عَلَيْهِمْ، وَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ يَعْمَلُ مَعَهُمْ فِي الخَنْدَقِ لِيُنَشِّطَ الْمُسْلِمِينَ، وَعَمِلُوا، وَاسْتَعَارُوا مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ آلَةً كَثِيرَةً مِنْ مَسَاحِي (جمع مسحاة وهي المجرفة من الحديد)، وَكَرَازِينَ (جمع كرزن، وهو الفأس)، وَمَكَاتِلَ (جمع مكتل، وهو الزبيل الكبير، قيل إنه يسع خمسة عشر صاعًا)، يَحْفِرُونَ بِهِ الخَنْدَقَ ـ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ سِلْمٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَكْرَهُونَ قُدُومَ قُرَيْشٍ.

وَوَكَّلَ رَسُولُ الله ﷺ بِكُلِّ جَانِبٍ مِنْ الخَنْدَقِ قَوْمًا يَحْفِرُونَهُ، فَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَحْفِرُونَ مِنْ جَانِبٍ رَاتِجٍ إِلَى ذُبَابٍ، وَكَانَتْ الأَنْصَارُ تَحْفِرُ مِنْ ذُبَابٍ إِلَى جَبَلِ بَنِي عُبَيْدٍ، وَكَانَ سَائِرُ الْمَدِينَةِ مُشَبَّكًا بِالْبُنْيَانِ.

فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَهْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَالشَّبَابُ يَنْقُلُونَ التُّرَابَ، وَالخَنْدَقُ بَسْطَةٌ (أي: قامة) أَوْ نَحْوُهَا، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ يَنْقُلُونَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ فِي الْمَكَاتِلِ، وَكَانُوا إِذَا رَجَعُوا بِالْمَكَاتِلِ جَعَلُوا فِيهَا الحِجَارَةَ يَأْتُونَ بِهَا مِنْ جَبَلِ سَلْعٍ، وَكَانُوا يَجْعَلُونَ التُّرَابَ مِمَّا يَلِي النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ، وَكَانَ يَسْطُرُونَ الحِجَارَةَ مِمَّا يَلِيهِمْ كَأَنَّهَا حِبَالُ التَّمْرِ ـ وَكَانَتْ الحِجَارَةُ مِنْ أَعْظَمِ سِلَاحِهِمْ يَرْمُونَهُمْ بِهَا.

فَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَئِذٍ يَحْمِلُ التُّرَابَ فِي الْمَكَاتِلِ وَيَطْرَحُهُ وَالقَوْمُ يَرْتَجِزُونَ (يترنمون بالرَّجز من أوزان الشعر) وَرَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ:

هَذَا الـحَمَالُ لا حَمَالُ خَيْبَرَ هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ

وَجَعَلَ الـمُسْلِمُونَ يَوْمَئِذٍ إِذَا رَأَوْا مِن الرَّجُلِ فُتُورًا ضَحِكُوا مِنْهُ. [المغازي للواقدي ٢/ ٤٤٥-٤٤٦].

وقَالَ الوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عِيسَى، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَا كَانَ فِي الـمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا يَحْفِرُ فِي الخَنْدَقِ أَوْ يَنْقُلُ التُّرَابَ، وَلَقَدْ رُئِيَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ رضي الله عنهما ـ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما لا يَتَفَرَّقَانِ فِي عَمَلٍ وَلا مَسِيرٍ وَلا مَنْزِلٍ ـ يَنْقُلَانِ التُّرَابَ فِي ثِيَابِهِمَا يَوْمَئِذٍ مِنْ العَجَلَةِ، إِذْ لَمْ يَجِدَا مَكَاتِلَ لِعَجَلَةِ الـمُسْلِمِينَ. [المغازي للواقدي ٢/ ٤٤٨-٤٤٩].

يقول أ/ باشميل: «وبالرغم من الهول وجو الرعب والفزع الذي يحيط المنطقة التي أصبحت كلها آذان في انتظار وصول جيوش الأحزاب التي سبقتها سيول من التخويف والترويع لأهل المدينة، بالرغم من ذلك كله، فقد كان المسلمون يعملون في حفر الخندق بثقة واطمئنان وثبات، قدوتهم الكبرى في ذلك

نبيهم الأعظم ﷺ الذي ـ هو بينهم يعمل ـ يتبسط معهم في الحديث ويداعب ويمازح في روح حلوة حانية لا يقول صاحبها إلا حقًّا.

وإنه لمنظر رائع حقًّا، محمد بن عبد الله النبي والقائد ﷺ يحفر التراب بالمسحاة في الخندق ويضرب بالفأس والمعول، وينحني ليجرف التراب ويحمله في المكتل على ظهره.

ويختلط بأصحابه كواحد منهم، ويرفع صوته مع المرتجزين وهم يرفعون أصواتهم بالرجز في أثناء العمل، فيشاركهم الترجيع، وقد كانوا يتغنون بأغاني ساذجة من وحي الحوادث الجارية.

[غزوة الأحزاب لباشميل ١٣٦-١٣٧].

التنافس الشريف بين المسلمين:

يقول أ/ باشميل: «ورغبة من القيادة العامة في إنجاز حفر الخندق بأسرع ما يمكن لجأت إلى بث روح التنافس الشريف بين المسلمين في الحفر.

فقد قسَّم الرسول ﷺ المساحات المطلوب حفرها خندقًا، بين أصحابه لكل عشرة منهم أربعين ذراعًا، عليهم أن ينجزوا حفرها ـ في حدود العمق والعرض الذي حددته القيادة لهم ـ بأسرع ما يمكن.

وقد بلغ طول الخندق حوالي خمسة آلاف ذراع، أما عمق الخندق فلا يمكن أن يكون أقل من سبعة أذرع، والعرض ـ كذلك ـ لا يمكن أن يكون أقل من تسعة أذرع؛ لأن الخيل باستطاعتها أن تقتحم ما هو أقل من هذه المسافة.

وقد استغرق حفر الخندق (كما يقول ابن القيم) شهرًا كاملًا. [غزوة الأحزاب لباشميل ١٤١].

ما نزل في حق العاملين في الخندق:

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي أُولَئِكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [النور]، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِيمَنْ كَانَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الحِسْبَةِ وَالرَّغْبَةِ فِي الخَيْرِ وَالطَّاعَةِ لله ﷻ وَلِرَسُولِهِ ﷺ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى، يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَسَلَّلُونَ مِنْ العَمَلِ، وَيَذْهَبُونَ بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور]. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢١٦].

عمل المنافقين التخريبي في الخندق:

يقول أ/ باشميل: «وبينما العمل يجري بجد ونشاط واجتهاد وإخلاص لحفر الخندق من جانب النبي ﷺ والصفوة من أصحابه، وبالرغم من حرص قيادة المدينة على إنجاز حفر الخندق، حتى يتم قبل

وصول جيوش الأحزاب، فإن قيادة المدينة قد واجهت ـ منذ اللحظة الأولى ـ متاعب وأعمالًا عليها طابع التخريب والتفتيت، من فئات ينتسبون إلى الإسلام وهم ليسوا منه في شيء ـ وهم المنافقون ـ قد كان لهم ـ منذ بدأت الاستعدادات لمعركة الخندق ـ أداور غير مشرفة وسيئة.

فقبل وصول الأحزاب، وأثناء عملية حفر الخندق كان هؤلاء المنافقون ـ الذين كانوا بحكم الظاهر جزءًا من الجيش الإسلامي ـ يتكاسلون في العمل أثناء عملية الحفر، وإن عملوا مع الجند، لا يعملون إلا الضعيف التافه من العمل.

وكانوا بالإضافة إلى هذا التكاسل، يقومون بأعمال تخريبية يشجعون بها ضعاف النفوس على التهاون في العمل في الخندق، بغية تأخير إنجاز الخندق حتى تصل جيوش الأحزاب.

بالرغم من الأوامر العسكرية المشددة التي تقضي بأن لا يترك أحد مكانه في العمل في الخندق إلا بإذن خاص من النبي القائد ﷺ، فقد كان هؤلاء المنافقون يتركون العمل ويتسللون منه إلى أهليهم دون أن يستأذنوا الرسول القائد ﷺ، فيكون لأعمالهم التخريبية هذه آثار سيئة على سير العمل في حفر الخندق.

أما المسلمون الصادقون فقد كانوا يقدرون الظروف الاستثنائية الخطيرة التي تستلزم مواصلة الحفر لإنجاز الخندق بأسرع ما يمكن، فكانوا لذلك لا يتركون العمل في الخندق إلا لضرورة قصوى تستدعي ذلك.

ومع ذلك فقد كانوا إذا نابت أحدهم نائبة من الحاجة التي لابد منها، لا يتركون العمل لقضائها، إلا بعد أن يأخذوا إذنًا خاصًا من النبي القائد ﷺ امتثالًا لأمر الله تعالى الذي جاء فيه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾[النور].

فيأذن لهم النبي ﷺ في اللحاق بحاجتهم، فإذا قضوها عادوا إلى ما كانوا عليه من العمل في الخندق بأقصى سرعة رغبة منهم في الخير وحرصًا على إطاعة أوامر نبيهم الكريم ﷺ.

أما المنافقون فقد كانوا يتسللون من الخندق ويتركون العمل فيه، ويذهبون إلى حيث شاؤوا دون أن يستأذنوا النبي القائد ﷺ، يفعلون ذلك بقصد التخريب والتثبيط؛ لأنهم لا يؤمنون في قرارة أنفسهم بالنبي ﷺ ولا بما يدعو إليه بالرغم من تظاهرهم بالإسلام وانخراطهم في سلك جيشه، ذلك التظاهر الذي لم يكن إلا (تقية) تجعلهم ـ فقط ـ يتمتعون بحقوق المواطن المسلم، وهم في حقيقتهم بأنهم غير ملتزمين بالطاعة لأمر النبي ﷺ، وعلى أساس هذا الشعور كان تصرفهم المشين أثناء عملية حفر الخندق.

تنديد القرآن بالمنافقين:

ولقد ندَّد القرآن الكريم بهؤلاء المنافقين الذين يتركون العمل في الخندق بدافع التخريب، فيتركونه دون أن يستأذنوا النبي القائد ﷺ، فقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

وبالرغم من عمل المنافقين التخريبي وتكاسلهم عن العمل في الخندق، فإن عملهم الخبيث هذا لم يؤثر كثيرًا على سير عملية الحفر، فقد أجهد الصحابة أنفسهم في العمل حتى تم حفر الخندق كما أراد الرسول القائد ﷺ وقبل وصول جيوش الأحزاب بعدة أيام». [غزوة الأحزاب لباشميل ١٣٨-١٤١].

ارتجاز المسلمين في حفر الخندق:

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الخَنْدَقِ، فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ [قَرَّةٍ أَوْ] بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ [خَدَمٌ] يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنْ النَّصَبِ (التعب والمشقة) وَالجُوعِ قَالَ:

اللَّهُمَّ إِنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ (١)

فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا

[وَلَا نَفِرُّ وَلَا نَفِرُّ وَلَا نَفِرُّ]

[البخاري في الجهاد والسير (٢٨٣٤)، وفي المغازي (٤٠٩٩)، وفي الأحكام (٧٢٠١) بلفظ: «اللَّهُمَّ إِنَّ الخَيْرَ خَيْرُ الآخِرَهْ»، و أحمد ٢٠/ ١٤١، ١٤٨، ٢٧٨، ٣٨٦ رقم ١٢٧٢٢، ١٢٧٣٢، ١٢٩٥١، ١٣١٢٧، ٢١/ ٣٨٥ رقم ١٣٩٥٥].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: جَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ الخَنْدَقَ حَوْلَ الـمَدِينَةِ، وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ عَلَى مُتُونِهِمْ(٢) [أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ كَانُوا يَقُولُونَ وَهُمْ يَحْفِرُونَ الخَنْدَقَ] وَهُمْ يَقُولُونَ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الإِسْلَامِ [الجِهَادِ] مَا بَقِينَا [حَيِينَا] أَبَدَا

قَالَ: يَقُولُ [فَأَجَابَهُمْ] النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يُجِيبُهُمْ:

اللَّهُمَّ إِنَّه لَا خَيْرَ [عَيْشَ] إِلَّا خَيْرُ [عَيْشَ] الآخِرَهْ فَبَارِكْ (٣) فِي الأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ

---

(١) وفي رواية أحمد: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرَ الآخِرَهْ فَأَصْلِحْ الأَنْصَارَ وَالـمُهَاجِرَهْ

(٢) المتن هو الكتف (وقد جاء في رواية أخرى: على أكتافنا، وفي أخرى على أكتادنا، وكلاهما بمعنى واحد). مرويات غزوة الخندق ١٩١.

(٣) وفي رواية: فَاغْفِرْ، فَأَكْرِمْ، فَأَصْلِحْ، فَانْصُرْ.

قَالَ: يُؤْتَوْنَ بِمِلءِ كَفِّي مِنَ الشَّعِيرِ فَيُصْنَعُ (يطبخ) لَهُمْ بِإِهَالَةٍ (الدهن مما يؤتدم به سواءً كان زيتًا أو شحمًا أو سمنًا، وقيل هو ما أذيب من الألية والشحم وقيل الدسم الجامد) سَنِخَةٍ (أي تغير طعمها ولونها من قدمها، وقيل: بنون وغين معجمة (أي نشغة) والنشغ القيء، أي يحصل لهم غثيان عند اذدرادها والأول أصوب) تُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْ القَوْمِ، وَالقَوْمُ جِيَاعٌ، [وَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ عَلَيْهِ إِهَالَةٌ سَنِخَةٌ، فَأَكَلُوا مِنْهَا]، وَهِيَ بَشِعَةٌ (كريهة الطعم عند ازدرادها) فِي الحَلْقِ، وَلَهَا رِيحٌ مُنْتِنٌ (يدل على أنها عتيقة جدًّا حتى عفنت وانتهت).

[وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّمَا الخَيْرُ خَيْرُ الآخِرَهْ]. [البخاري في المغازي (٤١٠٠)، وفي الجهاد والسير (٢٨٣٥، ٢٨٣٧، ٢٩٦١)، وفي المناقب (٣٧٩٥، ٣٧٩٦)، وفي الرقاق (٦٤١٣)، ومسلم في الجهاد والسير (١٨٠٥)، والترمذي في المناقب (٣٨٥٧)، ومسند أحمد ٢٠/ ٤١٨ رقم ١٣١٩١، ٢١/ ٢٣٦، ٤٥٤ رقم ١٣٦٤٦، ١٤٠٦٨].

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الخَنْدَقِ، وَهُمْ يَحْفِرُونَ [وَهُوَ يَحْفِرُ]، وَنَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ (فيه دلالة على صغر سن سهل ﷺ في ذلك الوقت، وأنه كان ومن في مثل سنه مخصصين لنقل التراب المحفور. مرويات غزوة الخندق ١٩٣) عَلَى أَكْتَادِنَا (الكتد بفتح التاء وكسرها: مجمع الكتفين وهو الكاهل. النهاية ٤/ ١٤٩. والمراد: نحمله على جنوبنا مما يلي الكبد)، [وَيَمُرُّ بِنَا]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ، فَاغْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ [لِلأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ]».

[البخاري في المغازي (٤٠٩٨)، وفي المناقب (٣٧٩٧)، وفي الرقاق (٦٤١٤)، ومسلم في الجهاد والسير (١٨٠٤)، والترمذي في المناقب (٣٨٥٦) بلفظ: «فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ»، ومسند أحمد ٣٧/ ٤٧٢ رقم ٢٢٨١٥].

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ﵂ قَالَتْ: مَا نَسِيتُ قَوْلَهُ ﷺ يَوْمَ الخَنْدَقِ وَهُوَ يُعَاطِيهِمُ اللَّبِنَ قَدِ اغْبَرَّ شَعْرُ صَدْرِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنَّ الخَيْرَ خَيْرُ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ

وَجَاءَ عَمَّارٌ ﷺ فَقَالَ ﷺ: «يَا ابْنَ سُمَيَّةَ تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ». [السنن الكبرى للنسائي ٧/ ٤٦٧ رقم ٨٤٩٢، ٨٤٩٣، ومسند أحمد ٤٤/ ٨٣، ٢٧٩ رقم ٢٦٤٨٢، ٢٦٦٨٠، وقال الشيخ الأرناؤوط عنهما: إسناده صحيح على شرط مسلم، ومجمع الزوائد ٦/ ١٩٣ في المغازي والسير (١٠١٤٣)، وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو يعلى [مسند أبي يعلى ٣/ ٢٠٩ رقم ١٦٤٥، وقال الشيخ أسد: إسناده حسن].

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَعَمِلَ المُسْلِمُونَ فِيهِ حَتَّى أَحْكَمُوهُ وَارْتَجَزُوا فِيهِ بِرَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ يُقَالُ لَهُ جُعَيْلٌ، سَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَمْرًا، فَقَالُوا:

سَمَّاهُ مِنْ بَعْدِ جُعَيْلٍ عَمْرًا وَكَانَ لِلبَائِسِ يَوْمًا ظَهْرًا [1]

(١) الظهر: القوة والمعونة.

فَإِذَا مَرُّوا «بِعَمْرٍو» قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَمْرًا»، وَإِذَا مَرُّوا «بِظَهْرٍ» قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ظَهْرًا».

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢١٧].

وقَالَ الوَاقِدِيُّ: وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: كَانَ جُعَيْلُ بْنُ سُرَاقَةَ رَجُلًا صَالِحًا، وَكَانَ ذَمِيمًا قَبِيحًا، وَكَانَ يَعْمَلُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ فِي الخَنْدَقِ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ غَيَّرَ اسْمَهُ يَوْمَئِذٍ فَسَمَّاهُ عَمْرًا، فَجَعَلَ الـمُسْلِمُونَ يَرْتَجِزُونَ وَيَقُولُونَ:

سَمَّاهُ مِنْ بَعْدِ جُعَيْلٍ عَمْرًا وَكَانَ لِلبَائِسِ يَوْمًا ظَهْرًا

قَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ لا يَقُولُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَقُولَ: «عَمْرًا».

[المغازي للواقدي ٢/ ٤٤٧-٤٤٨].

وعَنْ سَلْمَانَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ضَرَبَ فِي الخَنْدَقِ وَقَالَ: «**بِسْمِ الله وَبِهِ هُدِينَا، وَلَوْ عَبَدْنَا غَيْرَهُ شَقِينَا، فَأَحَبُّ رَبًّا وَأَحَبُّ دِينَا**». [دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٤١٤].

النبي ﷺ يحمل التراب في الخندق:

قال الشيخ الغزالي: «أخذ النبي ﷺ يحفر بيده ويحمل الأتربة والأحجار على عاتقه، وتأسى به الرجال الكبار ممن لم يألفوا هذا العمل قط، فشهدت يثرب منظرًا عجيبًا، وجوهًا ناصعة تتألف منها فرق شتى تضرب بالفؤوس وتحمل المكاتل، وتتعرى من لباسها وزينتها لتلبس حللًا من نسج الغبار المتراكم والعرق واللغوب». [فقه السيرة للغزالي ٣٠٥].

ولقد كان النبي القائد ﷺ يعمل في حفر الخندق ويحمل التراب على ظهره كأنشط واحد في الجند.

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ فِي الْخَنْدَقِ رَسُولُ الله ﷺ، أَخَذَ الْمِعْوَلَ بِيَدَيْهِ جَمِيعًا ثُمَّ قَالَ: «**بِسْمِ الله وَبِهِ بَدَيْنَا، وَلَوْ عَبَدْنَا غَيْرَهُ شَقِينَا، أَلا لَحَبَّذَا رَبًّا، وَحَبَّذَا دِينًا**»، ثُمَّ ضَرَبَ.

[الأحاديث المختارة للمقدسي ٦/ ١٥٩-١٦٠ رقم ٢١٥٩، وقال د/ دهيش: إسْنَاده صَحِيح].

وعَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: ضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ فِي الْخَنْدَقِ [بِيَدَيْهِ]، ثُمَّ قَالَ: «**بِسْمِ الله وَبِهِ بَدِينَا، وَلَوْ عَبَدْنَا غَيْرَهُ شَقِينَا، حَبَّذَا رَبًّا، وَحِبَّذَا دِينًا**». [بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث للهيثمي كتاب المغازي ٢/ ٧٠٢ رقم ٦٩٠، وإتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري كتاب سيرة سيدنا رسول الله ﷺ ٥/ ٢٣٠ رقم ٤٥٨٢، والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر كتاب السيرة والمغازي ١٧/ ٣٩٢ رقم ٤٢٧٤، وقال الشيخ الصوياني: سنده صحيح... الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٣١٨].

وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ ﷺ يُحَدِّثُ قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ وَخَنْدَقَ رَسُولُ الله ﷺ رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الخَنْدَقِ، حَتَّى [أَغْمَرَ بَطْنَهُ أَوْ اغْبَرَّ بَطْنُهُ] وَارَى عَنِّي الغُبَارُ جِلْدَةَ [بَيَاضَ] بَطْنِهِ [شَعَرَ صَدْرِهِ] [وَلَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ]، وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعْرِ، فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ [عَبْدِ الله] ابْنِ رَوَاحَةَ، وَهُوَ يَنْقُلُ مِنْ التُّرَابِ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا (١)
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتْ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا (٢)
إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا (٣)

قَالَ: ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا (وفي رواية: وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ: أَبَيْنَا أَبَيْنَا).

[البخاري في المغازي (٤١٠٤، ٤١٠٦)، وفي الجهاد والسير (٢٨٣٧، ٢٨٣٦، ٣٠٣٤)، وفي القدر (٦٦٢٠)، وفي التمني (٧٢٣٦)، ومسلم في الجهاد والسير (١٨٠٣)، ومسند أحمد ٣٠/ ٤٧٤، ٥٣٧-٥٣٩، ٦٠٩، ٦٢٠ رقم ١٨٥١٣، ١٨٥٧٠-١٨٥٧٢، ١٨٦٦٢، ١٨٦٨٤، والدارمي في السير (٢٤٥٥)، ومجمع الزوائد ٦/ ١٩٢ في المغازي والسير (١٠١٤٢)، وقال الهيثمي: رواه البزار وأبو يعلى [عن أنس بن مالك ﷺ] ورجاله ثقات].

وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلبَرَاءِ ﷺ وَهُوَ يَمْزَحُ مَعَهُ: قَدْ فَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ وَأَنْتُمْ أَصْحَابُهُ؟! قَالَ البَرَاءُ ﷺ: إِنِّي لَأَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ مَا فَرَّ يَوْمَئِذٍ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَوْمَ حُفِرَ الخَنْدَقُ وَهُوَ يَنْقُلُ مَعَ النَّاسِ التُّرَابَ وَهُوَ يَتَمَثَّلُ كَلِمَةَ ابْنِ رَوَاحَةَ...

[مسند أحمد ٣٠/ ٤٤٠ عن البراء بن عازب ﷺ رقم ١٨٤٨٦، وقال الشيخ الأرناؤوط: حديث صحيح].

وقَالَ الوَاقِدِيُّ: وَكَانَ البَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ ﷺ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَإِنَّهُ كَانَ أَبْيَضَ شَدِيدَ البَيَاضِ، كَثِيرَ الشَّعْرِ يَضْرِبُ الشَّعْرُ مَنْكِبَيْهِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمَئِذٍ يَحْمِلُ التُّرَابَ عَلَى ظَهْرِهِ حَتَّى حَالَ الغُبَارُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ بَطْنِهِ.

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ ﷺ: لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يَحْفِرُ فِي الخَنْدَقِ مَعَ المُسْلِمِينَ وَالتُّرَابُ عَلَى صَدْرِهِ وَبَيْنَ عُكَنِهِ (ما انطوى وتثنى من لحم البطن)، وَإِنَّهُ لَيَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا

يُرَدِّدُ ذَلِكَ. [المغازي للواقدي ٢/ ٤٤٩].

وروى الواقدي بسنده عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ:...وَكَانَ المُسْلِمُونَ يَوْمَئِذٍ ثَلاثَةَ آلافٍ، فَلَقَدْ كُنْتُ أَرَى رَسُولَ الله ﷺ وَإِنَّهُ لَيَضْرِبُ مَرَّةً بِالمِعْوَلِ، وَمَرَّةً يَغْرِفُ بِالمِسْحَاةِ التُّرَابَ، وَمَرَّةً يَحْمِلُ التُّرَابَ فِي المِكْتَلِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمًا بَلَغَ مِنْهُ فَجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ اتَّكَأَ عَلَى حَجَرٍ عَلَى شِقِّهِ الأَيْسَرِ، فَذَهَبَ بِهِ النَّوْمُ، فَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَاقِفَيْنِ عَلَى رَأْسِهِ يُنَحِّيَانِ النَّاسَ أَنْ يَمُرُّوا بِهِ فَيُنَبِّهُوهُ، وَأَنَا قَرَّبْتُ مِنْهُ فَفَزِعَ وَوَثَبَ، فَقَالَ: «**أَلا أَفْزَعْتُمُونِي**»، فَأَخَذَ الكَرْزَنَ يَضْرِبُ بِهِ، وَإِنَّهُ لَيَقُولُ:

---

(١) وفي رواية: وَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا صُمْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
(٢) وفي رواية: فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا إِنَّ الأُلَى قَدْ أَبَوْا عَلَيْنَا
(٣) وفي رواية: إِنَّ الأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا
وفي رواية: وَالمُشْرِكُونَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا
وفي رواية: إِنَّ المَلَا قَدْ أَبَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

اللَّهُمَّ إِنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالـمُهَاجِرَهْ
اللَّهُمَّ العَنْ عَضْلًا وَالقَارَهْ فَهُمْ كَلَّفُونِي أَنْقُلُ الحِجَارَهْ

[المغازي للواقدي ٢/ ٤٥٣].

أَمَا إِنَّهُ نِعْمَ الغُلامُ:

قَالَ الوَاقِدِيُّ: فَبَيْنَا الْمُسْلِمُونَ يَحْفِرُونَ، وَكَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ﷺ فِيمَنْ يَنْقُلُ التُّرَابَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: الحَمْدُ لله يَا رَسُولَ الله الَّذِي أَبْقَانِي حَتَّى آمَنْتُ بِكَ، إِنِّي عَانَقْتُ أَبَا هَذَا يَوْمَ بُعَاثَ، ثَابِتَ بْنَ الضَّحَّاكِ، فَكَانَتْ اللَّبْجَةُ بِهِ (من قولك: لبج به، أي صرع)، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ نِعْمَ الغُلامُ**»، وَكَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ﷺ قَدْ رَقَدَ فِي الخَنْدَقِ، غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أُخِذَ سِلاحُهُ وَهُوَ لا يَشْعُرُ، وَهُوَ فِي قُرٍّ شَدِيدٍ ـ تُرْسُهُ وَقَوْسُهُ وَسَيْفُهُ ـ وَهُوَ عَلَى شَفِيرِ الخَنْدَقِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ يُطِيفُونَ بِالخَنْدَقِ وَيَحْرُسُونَهُ وَتَرَكُوا زَيْدًا نَائِمًا، وَلا يَشْعُرُونَ بِهِ حَتَّى جَاءَهُ عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ ﷺ فَأَخَذَ سِلاحَهُ وَلا يَشْعُرُ حَتَّى فَزِعَ بَعْدَ فَقْدِ سِلاحِهِ، حَتَّى بَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ فَدَعَا زَيْدًا فَقَالَ: «**يَا أَبَا رُقَادٍ، نِمْتَ حَتَّى ذَهَبَ سِلاحُكَ!**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ لَهُ عِلْمٌ بِسِلاحِ هَذَا الغُلامِ؟**» فَقَالَ عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ ﷺ: أَنَا يَا رَسُولَ الله! وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ: «**فَرُدَّهُ عَلَيْهِ**»، وَنَهَى رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يُرَوَّعَ الْمُسْلِمُ أَوْ يُؤْخَذَ مَتَاعُهُ لاعِبًا جَادًّا (أي: لا يأخذه على سبيل الهزل ثم يحبسه فيصير ذلك جدًّا).

[المغازي للواقدي ٢/ ٤٤٨].

وما أحلاها روح الدعابة واللطف التي مازح بها النبي الأعظم والقائد الأعلى ﷺ ذلك الغلام الصغير الذي غلبه النوم أثناء العمل، فنام حتى أُخذ منه سلاحه: «**يَا أَبَا رُقَادٍ، نِمْتَ حَتَّى ذَهَبَ سِلاحُكَ!**»، وجرس الدعابة الحلوة الحانية يتجلى في كلمة «**يَا أَبَا رُقَادٍ!**» التي داعب بها النبي القائد ﷺ ذلك الغلام الصغير، وصدق الله ﷻ الذي يقول في هذا النبي الكريم ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم]. [غزوة الأحزاب لباشميل ١٣٨].

ظروف صعبة:

يقول أ/ باشميل: «وبالإضافة إلى أن عملية حفر الخندق (الذي لا يقل طوله عن خمسة آلاف ذراع) كانت ـ في حد ذاته ـ عملية شاقة للغاية، فإن الظروف المعيشية التي قام المسلمون فيها بحفر الخندق، كانت ظروفًا صعبة جدًّا.

فقد كان ذلك العام بالنسبة للمسلمين عام مجاعة، فكان أكثر المسلمين الذين يقومون بأعمال حفر لا يجدون القوت الضروري الذي يسدون به جوعتهم، بما في ذلك النبي الأعظم ﷺ، الذي كان وهو يقوم بأعمال الحفر يربط الحجر على بطنه من شدة الجوع، وكان الطعام الرئيس، للذي يجدونه، هو التمر فقط».

[غزوة الأحزاب لباشميل ١٣٣].

ومما يدل على أن المسلمين كانوا عند حفر الخندق في ظروف معيشية صعبة، وفي حالة مجاعة شديدة ما رواه أحمد عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: لَـمَّا حَفَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الخَنْدَقَ أَصَابَهُمْ جَهْدٌ شَدِيدٌ حَتَّى رَبَطَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَطْنِهِ حَجَرًا مِن الجُوعِ. [مسند أحمد ٢٢/ ١٢٨ رقم ١٤٢٢٠، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري رجاله ثقات رجال الشيخين غير أيمن المكي والد عبد الواحد فمن رجال البخاري].

وروى البيهقي بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: لَـمَّا حَفَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الخَنْدَقَ أَصَابَ النَّبِيَّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ جَهْدٌ شَدِيدٌ، فَمَكَثُوا ثَلَاثًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا، حَتَّى رَبَطَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَطْنِهِ حَجَرًا مِنَ الجُوعِ. [دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٤٢٢، وبنحوه أحمد في المسند ٢٢/ ١٢٨ رقم ١٤٢٢٠، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أيمن المكي والد عبد الواحد فمن رجال البخاري].

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: يُؤْتَوْنَ بِمِلءِ كَفِّي مِنْ الشَّعِيرِ فَيُصْنَعُ لَهُمْ بِإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ تُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْ القَوْمِ، وَالقَوْمُ جِيَاعٌ، وَهِيَ بَشِعَةٌ فِي الحَلقِ، وَلَهَا رِيحٌ مُنْتِنٌ. [البخاري في المغازي (٤١٠٠)].

وبالإضافة إلى حالة المجاعة الشديدة التي كان عليها المسلمين عند حفر الخندق، كان البرد قارصًا والرياح شديدة مزعجة.

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الخَنْدَقِ، **فَإِذَا الـمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَـهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَـهُمْ**، فَلَـمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنْ النَّصَبِ وَالجُوعِ قَالَ:

اللَّهُمَّ إِنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالـمُهَاجِرَهْ

فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا

[البخاري في الجهاد والسير (٢٨٣٤)، وفي المغازي (٤٠٩٩)، وفي الأحكام (٧٢٠١) بلفظ: «اللَّهُمَّ إِنَّ الخَيْرَ خَيْرُ الآخِرَهْ»].

معجزات الرسول ﷺ في حفر الخندق:

أ ـ تكثيره الطعام ﷺ:

عن عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ أَيْمَنَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ جَابِرًا ﷺ فَقَالَ: إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ (قطعة صلبة من الأرض لا يؤثر فيها المعول) شَدِيدَةٌ، فَجَاؤُوا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ، فَقَالَ ﷺ: «**أَنَا نَازِلٌ**»، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ (مربوط من شدة الجوع) بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا (المجتمع من الرمل) أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي إِلَى البَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ (الأنثى من ولد المعز قبل استكمالها الحول)، فَذَبَحَتْ العَنَاقَ،

وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ، حَتَّى جَعَلَنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ (القِدر من الحجر)، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ الله وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ ﷺ: «كَمْ هُوَ»، فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: «كَثِيرٌ طَيِّبٌ»، قَالَ: «قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعْ الْبُرْمَةَ وَلَا الْخُبْزَ مِنْ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ»، فَقَالَ: «قُومُوا»، فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ ـ جابر ﷺ ـ عَلَى امْرَأَتِهِ، قَالَ: وَيْحَكِ! جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ ﷺ: «ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا (تزدحموا)»، فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ (يغطي) الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: «كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ». [البخاري في المغازي (٤١٠١)].

وقد رواه البيهقي بسنده بألفاظ متقاربة فقال:... حَدَّثَنَا أَيْمَنُ الْمَخْزُومِيُّ ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله ﷺ ، يَقُولُ: كُنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ الْخَنْدَقَ، فَعَرَضَتْ فِيهِ كَدَّانَةٌ (الكدانة ككتانة: حجارة رخوة كالمدر، وأكدَّوا صاروا فيها و(الكدكدة) الحمرة الشديدة، وكدَّ خشن. القاموس ١/ ٣٧١ وهذا التفسير لا يستقيم مع ما هو معلوم من وقوف هذه الصخرة في طريقهم. مرويات غزوة الخندق ١٦٨)، وَهِيَ الْجَبَلُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ كَدَّانَةً قَدْ عَرَضَتْ فِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «رُشُّوا عَلَيْهَا»، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ الله ﷺ فَأَتَاهَا وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ مِنَ الْجُوعِ، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ أَوِ الْمِسْحَاةَ، فَسَمَّى ثَلَاثًا ثُمَّ ضَرَبَ، فَعَادَتْ كَثِيبًا أَهْيَلَ، فَقُلْتُ لَهُ: ائْذَنْ لِي يَا رَسُولَ الله إِلَى الْمَنْزِلِ، فَفَعَلَ، فَقُلْتُ لِلْمَرْأَةِ: هَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: عِنْدِي صَاعٌ (مكيال، وهو خمسة أرطال وثلث بالبغدادي) مِنْ شَعِيرٍ وَعَنَاقٍ، فَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ وَعَجَنَتْهُ، وَذَكَّتِ الْعَنَاقَ وَسَلَخَتْهَا، وَخَلَّيْتُ مِنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ، فَجَلَسْتُ عِنْدَهُ سَاعَةً ثُمَّ قُلْتُ: ائْذَنْ لِي يَا رَسُولَ الله، فَفَعَلَ، فَأَتَيْتُ الْمَرْأَةَ فَإِذَا الْعَجِينُ وَاللَّحْمُ قَدْ أَمْكَنَا، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ عِنْدِي طُعَيِّمًا لَنَا، فَقُمْ يَا رَسُولَ الله أَنْتَ وَرَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِكَ، فَقَالَ: «وَكَمْ هُوَ؟»، فَقُلْتُ: صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَعَنَاقٌ، فَقَالَ لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا: «قُومُوا إِلَى جَابِرٍ»، فَقَامُوا، فَلَقِيتُ مِنَ الْحَيَاءِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الله، فَقُلْتُ: جَاءَ بِالْخَلْقِ عَلَى صَاعِ شَعِيرٍ وَعَنَاقٍ.

فَدَخَلْتُ عَلَى امْرَأَتِي أَقُولُ: افْتَضَحْتُ، جَاءَكِ رَسُولُ الله ﷺ بِالْجُنْدِ أَجْمَعِينَ، فَقَالَتْ: هَلْ كَانَ سَأَلَكَ كَمْ طَعَامُكَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَتِ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَدْ أَخْبَرْنَاهُ مَا عِنْدَنَا، فَكَشَفَتْ عَنِّي غَمًّا شَدِيدًا، فَدَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «خُذِي وَدَعِينِي مِنَ اللَّحْمِ»، فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَثْرُدُ، وَيَغْرِفُ اللَّحْمَ، ثُمَّ يُخَمِّرُ هَذَا، وَيُخَمِّرُ هَذَا، فَمَا زَالَ يُقَرِّبُ إِلَى النَّاسِ حَتَّى شَبِعُوا أَجْمَعِينَ، وَيَعُودُ التَّنُّورُ وَالْقِدْرُ أَمْلَأَ مَا كَانَا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كُلِي وَأَهْدِي»، فَلَمْ نَزَلْ نَأْكُلُ وَنُهْدِي يَوْمَنَا أَجْمَعَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ عَنْ خَلَّادِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَيْمَنَ. [دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٤١٦-٤١٧، ٤٢٢-٤٢٤].

وعن سَعِيدِ بْنِ مِينَاءَ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: لَـمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصًا (الجوع) شَدِيدًا، فَانْكَفَأْتُ (انقلبت ورجعت) إِلَى امْرَأَتِي، فَقُلْتُ: **هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ الله ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا**، فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا (مكيال قدر أربعة أقفزة، وهو وعاء من جلد) فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ (ما يألف البيت من الحيوان، والداجن أي سمينة وهي التي تترك في البيت ولا تفلت للمرعى ومن شأنها أن تسمن)، فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي، وَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَتْ: **لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ الله ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ**، فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: **يَا رَسُولَ الله! ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ**، فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ [لَكُمْ] سُورًا**» (سورا: وهو هنا الصنيع بالفارسية، كما جزم به البخاري، وقيل بالحبشية. سبل الهدى والرشاد ٤/ ٥٧٠، أي طعامًا يدعو إليه الناس. واللفظة فارسية (وهي بالسين وليست بالصاد كما في بعض المصادر). النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٢٠)، **فَحَيَّ هَلًا** (كلمة استدعاء فيها حث، أي هلموا مسرعين) **بِهَلِّكُمْ [بِكُمْ]**»، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ [عَجِينَتَكُمْ] حَتَّى أَجِيءَ**».

فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ! (هذه خصومة تحصل في مثل هذه الحال خوفًا من الفضيحة لقلة الأكل وكثرة الأضياف)، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ، فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا، فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «**ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي [مَعَكِ]، وَاقْدَحِي** (اغرفي) **مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا**»، وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِالله لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا (أي شبعوا وانصرفوا)، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ (تغلي ويسمع غليانها) كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا [عَجِينَتَنَا] لَيُخْبَزُ [لَتُخْبَزُ] كَمَا هُوَ. [البخاري في المغازي (٤١٠٢)، وفي الجهاد (٣٠٧٠)، ومسلم في الأشربة (٢٠٣٩)، والمستدرك للحاكم ٣/ ٣٠-٣١ في المغازي والسرايا (٤٣٢٤)، والدارمي في دلائل النبوة (٤٣)].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: عَمِلْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي الخَنْدَقِ، قَالَ: فَكَانَتْ عِنْدِي شُوَيْهَةٌ عَنْزٌ جَذَعٌ سَمِينَةٌ (عن ابن إسحاق: غَيْرُ جِدٍّ سَمِينَةٍ: أي غير كاملة السمن. السيرة لابن هشام ٢/ ٢١٨)، قَالَ: فَقُلْتُ: وَالله لَوْ صَنَعْنَاهَا لِرَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: فَأَمَرْتُ امْرَأَتِي، فَطَحَنَتْ لَنَا شَيْئًا مِنْ شَعِيرٍ وَصَنَعَتْ لَنَا مِنْهُ خُبْزًا، وَذَبَحَتْ تِلكَ الشَّاةَ فَشَوَيْنَاهَا لِرَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: فَلَـمَّا أَمْسَيْنَا وَأَرَادَ رَسُولُ الله ﷺ الِانْصِرَافَ عَنْ الخَنْدَقِ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْمَلُ فِيهِ نَهَارًا [نَهَارَنَا]، فَإِذَا أَمْسَيْنَا رَجَعْنَا إِلَى أَهْلِنَا [أَهَالِينَا]، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! [إِنِّي] قَدْ صَنَعْتُ لَكَ شُوَيْهَةً كَانَتْ عِنْدَنَا، وَصَنَعْنَا مَعَهَا شَيْئًا مِنْ خُبْزِ هَذَا الشَّعِيرِ، فَأُحِبُّ أَنْ تَنْصَرِفَ مَعِي إِلَى مَنْزِلِي، وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ يَنْصَرِفَ مَعِي رَسُولُ الله ﷺ وَحْدَهُ، قَالَ: فَلَـمَّا قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ، قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ أَمَرَ صَارِخًا فَصَرَخَ أَنْ انْصَرِفُوا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى بَيْتِ جَابِرٍ [بْنِ عَبْدِ الله]، قَالَ: قُلْتُ: إِنَّا لله، وَإِنَّا إِلَيْهِ

رَاجِعُونَ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَقْبَلَ النَّاسُ مَعَهُ، قَالَ: فَجَلَسَ وَأَخْرَجْنَاهَا إِلَيْهِ، قَالَ: فَبَرَّكَ وَسَمَّى [الله]، ثُمَّ أَكَلَ، وَتَوَارَدَهَا النَّاسُ، كُلَّمَا فَرَغَ قَوْمٌ قَامُوا وَجَاءَ نَاسٌ، حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الخَنْدَقِ عَنْهَا.

[مسند أحمد ٢٢/ ١٢٨ رقم ١٤٢٢٠، ٢٣/ ٢٧٦ رقم ١٥٠٢٨، وقال الشيخ الأرناؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد حسن من أجل ابن إسحاق وقد تابعه حنظلة بن أبي سفيان وهو ثقة من رجال الشيخين، و السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢١٨-٢١٩، وما بين المعكوفتين من السيرة].

وروى البيهقي بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ثَلَاثَمِائَةِ رَجُلٍ نَحْفِرُ الخَنْدَقَ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ أَخَذَ حَجَرًا فَجَعَلَهُ بَيْنَ بَطْنِهِ وَإِزَارِهِ، يُقِيمُ بَطْنَهُ مِنَ الجُوعِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي فَإِنَّ لِي حَاجَةً فِي أَهْلِي، فَأَتَيْتُ المَرْأَةَ فَقُلْتُ: قَدْ رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ أَمْرًا غَاظَنِي، فَهَل عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: هَذِهِ العَنَاقُ فَاذْبَحْهَا، وَهَذَا صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ فَاطْحَنْهُ، فَطَحَنْتُهُ وَذَبَحْتُ العَنَاقَ، وَقُلْتُ: اطْبُخِي حَتَّى آتِيَ رَسُولَ الله ﷺ فَاسْتَتْبَعْتُهُ، فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي قَدْ ذَبَحْتُ عَنَاقًا، وَطَحَنْتُ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، فَانْطَلِقْ مَعِي، فَنَادَى رَسُولُ الله ﷺ فِي القَوْمِ: «**أَلَا أَجِيبُوا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله**».

قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى المَرْأَةِ فَقُلْتُ: قَدِ افْتَضَحْتُ، جَاءَكِ رَسُولُ الله ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، فَقَالَتْ: بَلَّغْتَهُ وَبَيَّنْتَ لَهُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَارْجِعْ إِلَيْهِ فَبَيِّنْ لَهُ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّمَا هِيَ عَنَاقٌ، وَصَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، قَالَ: «**فَارْجِعْ وَلَا تُحَرِّكَنَّ شَيْئًا مِنَ التَّنُّورِ، وَلَا مِنَ القِدْرِ حَتَّى آتِيَهَا، وَاسْتَعِرْ صِحَافًا**».

فَدَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ فَدَعَا الله عز وجل عَلَى القِدْرِ وَالتَّنُّورِ، ثُمَّ قَالَ: «**اخْرُجِي وَاثْرُدِي**»، ثُمَّ أَقْعَدَهُمْ عَشَرَةً عَشَرَةً، فَأَدْخَلَهُمْ فَأَكَلُوا، وَهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ، وَأَكَلْنَا وَأَهْدَيْنَا لِجِيرَانِنَا، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ ذَهَبَ ذَلِكَ.

[دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٤٢٤-٤٢٥].

وعَنْ عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ أَيْمَنَ المَكِّيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما: حَدِّثْنِي بِحَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ سَمِعْتَهُ مِنْهُ أَرْوِيهِ عَنْكَ، فَقَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفُرُهُ، فَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَطْعَمُ طَعَامًا، وَلَا نَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَعَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ كُدْيَةٌ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقُلْتُ: **يَا رَسُولَ الله! هَذِهِ كُدْيَةٌ قَدْ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ**، فَرَشَشْنَا عَلَيْهَا المَاءَ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، فَأَخَذَ المِعْوَلَ أَوْ المِسْحَاةَ، ثُمَّ سَمَّى ثَلَاثًا، ثُمَّ ضَرَبَ فَعَادَتْ كَثِيبًا أَهْيَلَ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ قُلْتُ: **يَا رَسُولَ الله! ائْذَنْ لِي**، قَالَ: فَأَذِنَ لِي، فَجِئْتُ امْرَأَتِي، فَقُلْتُ: ثَكِلَتْكِ أُمُّكِ! فَقُلْتُ: **قَدْ رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ شَيْئًا لَا صَبْرَ لِي عَلَيْهِ، فَهَل عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟** فَقَالَتْ: **عِنْدِي صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَعَنَاقٌ**، قَالَ: فَطَحَنَّا الشَّعِيرَ، وَذَبَحْنَا العَنَاقَ، وَسَلَخْتُهَا وَجَعَلْتُهَا فِي البُرْمَةِ، وَعَجَنْتُ الشَّعِيرَ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَبِثْتُ سَاعَةً، ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُهُ الثَّانِيَةَ، فَأَذِنَ لِي، فَجِئْتُ فَإِذَا العَجِينُ قَدْ أَمْكَنَ، فَأَمَرْتُهَا بِالخَبْزِ وَجَعَلْتُ القِدْرَ

عَلَى الأَثَاثِي ـ قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنَّمَا هِيَ الأَثَافِيُّ وَلَكِنْ هَكَذَا قَالَ ـ ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: **إِنَّ عِنْدَنَا طُعَيِّمًا لَنَا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَقُومَ مَعِي أَنْتَ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ مَعَكَ**، فَقَالَ: «**وَكَمْ هُوَ؟**»، قُلْتُ: صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَعَنَاقٌ، فَقَالَ: «**ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ وَقُلْ لَهَا: لَا تَنْزِعْ القِدْرَ مِنَ الأَثَافِيِّ وَلَا تُخْرِجْ الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ**»، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: «**قُومُوا إِلَى بَيْتِ جَابِرٍ**»، قَالَ: فَاسْتَحْيَيْتُ حَيَاءً لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: **ثَكِلَتْكِ أُمُّكِ! قَدْ جَاءَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ! فَقَالَتْ: أَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ سَأَلَكِ كَمْ الطَّعَامُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ**، فَقَالَتْ: **اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَدْ أَخْبَرْتُهُ بِمَا كَانَ عِنْدَنَا**، قَالَ: فَذَهَبَ عَنِّي بَعْضُ مَا كُنْتُ أَجِدُ، وَقُلْتُ: لَقَدْ صَدَقْتِ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «**لَا تَضَاغَطُوا** (تزاحموا)»، ثُمَّ بَرَّكَ عَلَى التَّنُّورِ وَعَلَى البُرْمَةِ، قَالَ: فَجَعَلَنَا نَأْخُذُ مِنَ التَّنُّورِ الخُبْزَ، وَنَأْخُذُ اللَّحْمَ مِنَ البُرْمَةِ فَنُثَرِّدُ وَنَغْرِفُ لَهُمْ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لِيَجْلِسْ عَلَى الصَّحْفَةِ سَبْعَةٌ أَوْ ثَمَانِيَةٌ**»، فَإِذَا أَكَلُوا كَشَفْنَا عَنِ التَّنُّورِ وَكَشَفْنَا عَنِ البُرْمَةِ، فَإِذَا هُمَا أَمْلَأُ مَا كَانَا، فَلَمْ نَزَلْ نَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّمَا فَتَحْنَا التَّنُّورَ وَكَشَفْنَا عَنِ البُرْمَةِ وَجَدْنَاهُمَا أَمْلَأَ مَا كَانَا، حَتَّى شَبِعَ المُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ، وَبَقِيَ طَائِفَةٌ مِنَ الطَّعَامِ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَصَابَتْهُمْ مَخْمَصَةٌ فَكُلُوا وَأَطْعِمُوا**»، فَلَمْ نَزَلْ يَوْمَنَا ذَلِكَ نَأْكُلُ وَنُطْعِمُ، قَالَ: وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُمْ كَانُوا ثَمَانَ مِائَةٍ، أَوْ قَالَ: ثَلَاثَ مِائَةٍ، قَالَ أَيْمَنُ: لَا أَدْرِي أَيَّتُهُمَا قَالَ. [سنن الدارمي في دلائل النبوة (٤٣)، وقال الشيخ أسد: إسناده ضعيف عبد الرحمن بن محمد المحاربي موصوف بالتدليس وقد عنعن. ومصنف ابن أبي شيبة ١٦/٤٤٨-٤٥١ رقم ٣٢٣٦٧].

وقَالَ الوَاقِدِيُّ: قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَحْفِرُ وَرَأَيْتُهُ خَمِيصًا، وَرَأَيْتُ بَيْنَ عُكَنِهِ الغُبَارَ، فَأَتَيْتُ امْرَأَتِي فَأَخْبَرْتُهَا مَا رَأَيْتُ مِنْ خَمَصِ بَطْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ إِلَّا هَذِهِ الشَّاةُ وَمُدٌّ مِنْ شَعِيرٍ، قَالَ جَابِرٌ: فَاطْحَنِي وَأَصْلِحِي، قَالَتْ: فَطَبَخْنَا بَعْضَهَا وَشَوَيْنَا بَعْضَهَا، وَخُبِزَ الشَّعِيرُ، قَالَ جَابِرٌ: ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَمَكَثْتُ حَتَّى رَأَيْتُ أَنَّ الطَّعَامَ قَدْ بَلَغَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ صَنَعْتُ لَكَ طَعَامًا فَأْتِ أَنْتَ وَمَنْ أَحْبَبْتَ مِنْ أَصْحَابِكَ، فَشَبَّكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصَابِعَهُ فِي أَصَابِعِي، ثُمَّ قَالَ: «**أَجِيبُوا، جَابِرٌ يَدْعُوكُمْ**»، فَأَقْبَلُوا مَعَهُ، فَقُلْتُ: وَاللهِ إِنَّهَا الفَضِيحَةُ! فَأَتَيْتُ المَرْأَةَ فَأَخْبَرْتُهَا، فَقَالَتْ: أَنْتَ دَعَوْتَهُمْ أَوْ هُوَ دَعَاهُمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ هُوَ دَعَاهُمْ، قَالَتْ: دَعْهُمْ هُوَ أَعْلَمُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَكَانُوا فِرَقًا، عَشَرَةٌ عَشَرَةٌ، ثُمَّ قَالَ لَنَا: «**اغْرِفُوا، وَغَطُّوا البُرْمَةَ، وَأَخْرِجُوا مِنَ التَّنُّورِ الخُبْزَ ثُمَّ غَطُّوهُ**»، فَفَعَلْنَا فَجَعَلْنَا نَغْرِفُ وَنُغَطِّي البُرْمَةَ ثُمَّ نَفْتَحُهَا، فَمَا نَرَاهَا نَقَصَتْ شَيْئًا، وَنُخْرِجُ الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ، ثُمَّ نُغَطِّيهِ فَمَا نَرَاهُ يَنْقُصُ شَيْئًا، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَأَكَلْنَا وَأَهْدَيْنَا، فَعَمِلَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ كُلُّهُمْ وَالنَّبِيُّ ﷺ، وَجَعَلَتْ الأَنْصَارُ تَرْتَجِزُ وَتَقُولُ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

اللَّهُمَّ لا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالـمُهَاجِرَهْ

[المغازي للواقدي ٢/ ٤٥٢-٤٥٣].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: احْتَفَرَ رَسولُ الله ﷺ الخَنْدَقَ، وَأَصْحَابُهُ قَدْ شَدُّوا الحِجَارَةَ عَلَى بُطُونِهِمْ مِنَ الجُوعِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**هَلْ دُلِلْتُمْ عَلَى رَجُلٍ يُطْعِمُنَا أَكَلَةً؟**»، قَالَ رَجُلٌ: نَعَمْ، قَالَ: «**أَمَا لا فَتَقَدَّمْ، فَدُلَّنَا عَلَيْهِ**»، فَانْطَلَقُوا إِلَى الرَّجُلِ فَإِذَا فِي الخَنْدَقِ يُعَالِجُ نَصِيبَهُ مِنْهُ، فَأَرْسَلَتِ امْرَأَتُهُ أَنْ جِيءْ فَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أَتَانَا، فَجَاءَ الرَّجُلُ يَسْعَى، فَقَالَ: بِأَبِي وَأُمِّي، وَلَهُ مَعْزَةٌ وَمَعَهَا جَدْيُهَا، فَوَثَبَ إِلَيْهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الجَدْيُ مِنْ وَرَائِنَا**»، فَذَبَحَ الجَدْيَ، وعَمَدَتِ المَرْأَةُ إِلَى طَحِينَةٍ لَهَا فَعَجَنَتْهَا وَخَبَزَتْ فَأَدْرَكَتِ القِدْرَ، فَثَرَدَتْ قَصْعَتَهَا، فَقَرَّبَتْهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِصْبَعَهُ فِيهَا، فَقَالَ: «**بِسْمِ الله، اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهَا، اطْعَمُوا**»، فَأَكَلُوا مِنْهَا حَتَّى صَدَرُوا وَلَمْ يَأْكُلُوا مِنْهَا إِلا ثُلُثَهَا وَبَقِي ثُلُثَاهَا، فَسَرَّحَ أُولَئِكَ العَشَرَةَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ: أَنِ اذْهَبُوا وسَرِّحُوا إِلَيْنَا بِعِدَّتِكُمْ، فَذَهَبُوا وَجَاءَ أُولَئِكَ العَشَرَةُ مَكَانَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنْهَا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ قَامَ وَدَعَا لِرَبَّةِ البَيْتِ وَسَمَّتَ عَلَيْهَا (سَمَّتَ وشَمَّتَ: دعا) وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهَا، ثُمَّ تَمَشَّوْا إِلَى الخَنْدَقِ، فَقَالَ: «**اذْهَبُوا بنا إِلَى سَلْمَانَ**»، فَإِذَا صَخْرَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ قَدْ ضَعُفَ عَنْهَا، فَقَالَ نَبِيُّ الله ﷺ لأَصْحَابِهِ: «**دَعُونِي فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَهَا**»، فَقَالَ: «**بِسْمِ الله**»، فَضَرَبَهَا فَوَقَعَتْ فِلْقَةٌ ثُلُثُهَا، فَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ! قُصُورُ الرُّومِ وَرَبِّ الكَعْبَةِ**»، ثُمَّ ضَرَبَ بِأُخْرَى فَوَقَعَتْ فِلْقَةٌ، فَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ! قُصُورُ فَارِسَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ**»، فَقَالَ عِنْدَهَا الـمُنَافِقُونَ: **نَحْنُ نُخَنْدِقُ عَلَى أَنْفُسِنَا وَهُوَ يَعِدُنا قُصُورَ فَارِسٍ وَالرُّومِ**.

[مجمع الزوائد ٦/ ١٩٠-١٩١ في المغازي والسير (١٠١٤٠)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ١١/ ٣٧٦-٣٧٧ رقم ١٢٠٥٢] ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل ونعيم العنبري وهما ثقتان. وقال الشيخ الصوياني: سنده حسن بما قبله (وهو حديث أبي سكينة، وسيأتي). الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٣٢٣].

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ مِينَا، أَنَّهُ حُدِّثَ: أَنَّ ابْنَةً لِبَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ أُخْتَ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَتْ: دَعَتْنِي أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ، فَأَعْطَتْنِي حَفْنَةً مِنْ تَمْرٍ فِي ثَوْبِي، ثُمَّ قَالَتْ: «**أَيْ بُنَيَّةُ اذْهَبِي إِلَى أَبِيكِ وَخَالِكَ عَبْدِ الله بْنِ رَوَاحَةَ بِغَدَائِهِمَا**»، قَالَتْ: فَأَخَذْتُهَا، فَانْطَلَقْتُ بِهَا، فَمَرَرْتُ بِرَسُولِ الله ﷺ، وَأَنَا أَلْتَمِسُ أَبِي وَخَالِي، فَقَالَ ﷺ: «**تَعَالَيْ يَا بُنَيَّةُ، مَا هَذَا مَعَكِ؟**»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، هَذَا تَمْرٌ بَعَثَتْنِي بِهِ أُمِّي إِلَى أَبِي بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ وَخَالِي عَبْدِ الله بْنِ رَوَاحَةَ يَتَغَدَّيَانِهِ، قَالَ ﷺ: «**هَاتِيهِ**»، قَالَتْ: فَصَبَبْتُهُ فِي كَفَّيْ رَسُولِ الله ﷺ فَمَا مَلَأْتُهُمَا، ثُمَّ أَمَرَ بِثَوْبٍ فَبُسِطَ لَهُ، ثُمَّ دَحَا بِالتَّمْرِ عَلَيْهِ فَتَبَدَّدَ فَوْقَ الثَّوْبِ، ثُمَّ قَالَ لِإِنْسَانٍ عِنْدَهُ: «**أُصْرُخْ فِي أَهْلِ الخَنْدَقِ: أَنْ هَلُمَّ إِلَى الغَدَاءِ**»، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الخَنْدَقِ عَلَيْهِ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مَعَهُ، وَجَعَلَ

يَزِيدُ حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الخَنْدَقِ عَنْهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْقُطُ مِنْ أَطْرَافِ الثَّوْبِ.

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢١٨، ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٤٢٧، وقال الشيخ الصوياني: سنده صحيح. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٣٢٠].

وقَالَ الوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ رِيَاحٍ الأَنْصَارِيُّ، عَنْ القَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَافِعٍ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، قَالَ: كَانَ المُسْلِمُونَ قَدْ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ، فَكَانَ أَهْلوهُمْ يَبْعَثُونَ إِلَيْهِمْ بِمَا قَدَرُوا عَلَيْهِ، فَأَرْسَلَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ ابْنَتَهَا بِجَفْنَةِ تَمْرٍ عَجْوَةٍ فِي ثَوْبِهَا، فَقَالَتْ: **يَا بُنَيَّةُ اذْهَبِي إِلَى أَبِيك بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ وَخَالِك عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ بِغَدَائِهِمَا.**

فَانْطَلَقَتْ الجَارِيَةُ حَتَّى تَأْتِيَ الخَنْدَقَ، فَتَجِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ وَهِيَ تَلْتَمِسُهُمَا، فَقَالَ: «**تَعَالَيْ يَا بُنَيَّةُ مَا هَذَا مَعَكِ؟**»، قَالَتْ: بَعَثَتْنِي أُمِّي إِلَى أَبِي وَخَالِي بِغَدَائِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَاتِيهِ**»، قَالَتْ: فَأَعْطَيْتُهُ فَأَخَذَهُ فِي كَفَّيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِثَوْبٍ فَبُسِطَ لَهُ وَجَاءَ بِالتَّمْرِ فَنَثَرَهُ عَلَيْهِ فَوْقَ الثَّوْبِ، فَقَالَ لِجُعَالِ بْنِ سُرَاقَةَ: «**نَادِ بِأَهْلِ الخَنْدَقِ أَنْ هَلُمَّ إِلَى الغَدَاءِ**»، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الخَنْدَقِ عَلَيْهِ يَأْكُلُونَ مِنْهُ حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الخَنْدَقِ وَإِنَّهُ لَيَفِيضُ مِنْ أَطْرَافِ الثَّوْبِ.

وَحَدَّثَنِي شُعَيْبُ بْنُ عُبَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُعَتِّبٍ، قَالَ: أَرْسَلَتْ أُمُّ عَامِرٍ الأَشْهَلِيَّةُ بِقَعْبَةٍ (إناء ضخم كالقصعة) فِيهَا حَيْسٌ (تمر ينزع نواه ويدق مع أقط، ويعجنان بالسمن باليد حتى يبقى كالثريد، وربما جعل معه سويق) إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي قُبَّتِهِ وَهُوَ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ فَأَكَلَتْ أُمُّ سَلَمَةَ حَاجَتَهَا، ثُمَّ خَرَجَ بِالبَقِيَّةِ فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى عَشَائِهِ فَأَكَلَ أَهْلُ الخَنْدَقِ حَتَّى نَهِلُوا وَهِيَ كَمَا هِيَ.

[المغازي للواقدي ٢/ ٤٧٦-٤٧٧].

وعَنْ سَلمَى امْرَأَةِ أَبِي رَافِعٍ ﷺ ـ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ إِلَى أَبِي رَافِعٍ بِشَاةٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الخَنْدَقِ فِيمَا أَعْلَمُ، فَصَلَّاهَا أَبُو رَافِعٍ وَجَعَلَهَا فِي مِكْتَلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهَا فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ رَاجِعًا مِنَ الخَنْدَقِ، فَقَالَ لَهُ: «**يَا أَبَا رَافِعٍ نَاوِلنِي الذِّرَاعَ**»، فَنَاوَلْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَبَا رَافِعٍ نَاوِلنِي الذِّرَاعَ**»، فَنَاوَلْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَبَا رَافِعٍ نَاوِلنِي الذِّرَاعَ**»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَهَل لِلشَّاةِ إِلَّا ذِرَاعَانِ؟ فَقَالَ: «**لَوْ سَكَتَّ لَنَاوَلْتَنِي مَا سَأَلْتُكَ**». [مجمع الزوائد ٨/ ٥٤٦-٥٤٧ في علامات النبوة (١٤١٣٥)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ٢٤/ ٣٠٠-٣٠١ رقم ٧٦٣] ورجاله ثقات. وإتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ٧/ ١٠٠ في علامات النبوة (٦٤٦٨) عن ابن أبي شيبة وأبي يعلى].

ب ـ الصخرة في الخندق:

عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: مَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَهُمْ يَحْفِرُونَ الخَنْدَقَ ثَلَاثًا لَمْ يَذُوقُوا طَعَامًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَاهُنَا كُدْيَةً مِن الجَبَلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رُشُّوهَا بِالمَاءِ**»، فَرَشُّوهَا، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخَذَ المِعْوَلَ أَوْ المِسْحَاةَ، ثُمَّ قَالَ: «**بِسْمِ اللهِ**»، فَضَرَبَ ثَلَاثًا، فَصَارَتْ كَثِيبًا يُهَالُ، قَالَ جَابِرٌ ﷺ: فَحَانَتْ

مِنِّي التِفَاتَةٌ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ قَدْ شَدَّ عَلَى بَطْنِهِ حَجَرًا.

[مسند أحمد ٢٢/ ١٢١ رقم ١٤٢١١، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري رجاله ثقات رجال الشيخين غير أيمن المكي والد عبد الواحد فمن رجال البخاري].

وروى البيهقي بسنده عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَكَانَ فِي الحَفْرِ بِالخَنْدَقِ أَحَادِيثُ بَلَغَتْنِي فِيهَا عِبْرَةٌ فِي تَصْدِيقِ رَسُولِ الله ﷺ وَتَحْقِيقِ نُبُوَّتِهِ، وَعَايَنَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُ.

وَكَانَ مِمَّا بَلَغَنِي أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله رضي الله عنهما كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّهُ اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الخَنْدَقِ كُدْيَةٌ، فَشَكَوْهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَدَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ، فَتَفَلَ فِيهِ، ثُمَّ دَعَا بِمَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُوَ، ثُمَّ نَضَحَ ذَلِكَ المَاءَ عَلَى تِلْكَ الكُدْيَةِ، وَقَالَ مَنْ حَضَرَهَا: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ، لَانْهَالَتْ حَتَّى عَادَتْ كَالكَثِبِ مَا تَرُدُّ فَأْسًا وَلَا مِسْحَاةً. [دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٤١٥، السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢١٧-٢١٨].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: أَصَابَ النَّاسُ كُدْيَةً يَوْمَ الخَنْدَقِ فَضَرَبُوا فِيهَا بِمَعَاوِلِهِمْ حَتَّى انْكَسَرَتْ، فَدَعَوْا رَسُولَ الله ﷺ فَدَعَا بِمَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهَا فَعَادَتْ كَثِيبًا. [المغازي للواقدي ٢/ ٤٥٢].

وعَنِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِالخَنْدَقِ فَأَخَذَ الكِرْزِينَ فَحَفَرَ بِهِ فَصَادَفَ حَجَرًا [فَصَلَّ الحَجَرَ] فَضَحِكَ [رَسُولُ الله ﷺ]، قِيلَ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ ﷺ: «**ضَحِكْتُ مِنْ نَاسٍ يُؤْتَى بِهِمْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فِي النُّكُولِ** (أي: القيود، جمع نِكْل، ويجمع على أنكال، لأنها يُنكَل بها، أي: يُمنَع) [**الكُبُولِ** (جمع كبل، وهو قيد ضخم)] **يُسَاقُونَ إِلَى الجَنَّةِ [وَهُمْ كَارِهُونَ]**».

[مسند أحمد ٣٧/ ٥٠٦ رقم ٢٢٨٦١، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده ضعيف، الفضيل بن سليمان ليس بالقوي. المغازي للواقدي ٢/ ٤٤٩ وما بين المعكوفتين منه].

ج ـ نور الفتوح الإسلامية في ظلام الحصار والشدة:

عَنْ أَبِي سُكَيْنَةَ رَجُلٍ مِنَ الْمُحَرَّرِينَ (أي من الذين كانوا مملوكين فأعتقوا) عَنْ رَجُلٍ مِمَّنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَـمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِحَفْرِ الخَنْدَقِ عَرَضَتْ لَهُمْ صَخْرَةٌ حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الحَفْرِ، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَخَذَ المِعْوَلَ، وَوَضَعَ رِدَاءَهُ نَاحِيَةَ الخَنْدَقِ، وَقَالَ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام]، فَنَدَرَ (سقط) ثُلُثُ الحَجَرِ، وَسَلْمَانُ الفَارِسِيُّ قَائِمٌ يَنْظُرُ، فَبَرَقَ مَعَ ضَرْبَةِ رَسُولِ الله ﷺ بَرْقَةٌ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ، وَقَالَ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾، فَنَدَرَ الثُّلُثُ الآخَرُ، فَبَرَقَتْ بَرْقَةٌ، فَرَآهَا سَلْمَانُ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ، وَقَالَ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾، فَنَدَرَ الثُّلُثُ البَاقِي، وَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ وَجَلَسَ.

قَالَ سَلْمَانُ ﷺ: **يَا رَسُولَ الله، رَأَيْتُكَ حِينَ ضَرَبْتَ مَا تَضْرِبُ ضَرْبَةً إِلَّا كَانَتْ مَعَهَا بَرْقَةٌ**، قَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا سَلْمَانُ، رَأَيْتَ ذَلِكَ؟**»، فَقَالَ: إِي وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**فَإِنِّي حِينَ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الأُولَى رُفِعَتْ (أظهرت) لِي مَدَائِنُ كِسْرَى وَمَا حَوْلَهَا، وَمَدَائِنُ كَثِيرَةٌ حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ**»، قَالَ لَهُ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ اللهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا، وَيُغَنِّمَنَا دِيَارَهُمْ، وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينَا بِلَادَهُمْ، فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ بِذَلِكَ، «**ثُمَّ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الثَّانِيَةَ، فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ قَيْصَرَ وَمَا حَوْلَهَا، حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ اللهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا، وَيُغَنِّمَنَا دِيَارَهُمْ، وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينَا بِلَادَهُمْ، فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ بِذَلِكَ، «**ثُمَّ ضَرَبْتُ الثَّالِثَةَ، فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ الحَبَشَةِ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ القُرَى، حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ**»، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**دَعُوا الحَبَشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ (تَرَكُوكُمْ)، وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ**». [النسائي في الجهاد (٣١٧٦)، ومقولة الرسول ﷺ الأخيرة رواها أبو داود في الملاحم (٤٣٠٢)، وقال الشيخ الألباني عنها: حسن].

وعَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ بِحَفْرِ الخَنْدَقِ، قَالَ: وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الخَنْدَقِ لَا تَأْخُذُ فِيهَا المَعَاوِلُ، قَالَ: فَشَكَوْهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ ـ قَالَ عَوْفٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَضَعَ ثَوْبَهُ ـ ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَأَخَذَ المِعْوَلَ فَقَالَ: «**بِسْمِ الله**»، فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الحَجَرِ، وَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ! أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَالله إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا**»، ثُمَّ قَالَ: «**بِسْمِ الله**»، وَضَرَبَ أُخْرَى، فَكَسَرَ ثُلُثَ الحَجَرِ، فَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ! أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَالله إِنِّي لَأُبْصِرُ المَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا**»، ثُمَّ قَالَ: «**بِسْمِ الله**»، وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الحَجَرِ، فَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ! أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ اليَمَنِ، وَالله إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا**».

[مسند أحمد ٣٠/ ٦٢٥ رقم ١٨٦٩٤، ١٨٦٩٥، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده ضعيف لضعف ميمون أبي عبد الله، ومجمع الزوائد ٦/ ١٨٩ في المغازي والسير (١٠١٣٨)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد وفيه ميمون أبو عبد الله وثقه ابن حبان وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات»، وقال الشيخ العلي: «وحسَّن إسناده الحافظ في الفتح ٧/ ٣٩٧، حيث قال: ووقع عند أحمد والنسائي في هذه القصة زيادة بإسناد حسن عن البراء ﷺ... فذكر الحديث،... وللحديث شواهد... وبهذا يكون الحديث كما قال الحافظ أو أكثر». قلت: ورواه البيهقي في الدلائل ٣/ ٤٢١].

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِالخَنْدَقِ عَلَى المَدِينَةِ، فَأَتَاهُ قَوْمٌ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ وَجَدُوا صَفَاةً (الحجر الصَّلْد الضخم لا يُنبتُ) لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَنْقُبُوهَا، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ، وَقُمْنَا مَعَهُ، فَأَخَذَ المِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَلَمْ أَسْمَعْ ضَرْبَةً مِنْ رَجُلٍ كَانَتْ أَكْبَرَ صَوْتًا مِنْهَا، فَقَالَ ﷺ: «**اللهُ أَكْبَرُ! فُتِحَتْ فَارِسُ**»، ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى مِثْلَهَا، فَقَالَ ﷺ: «**اللهُ أَكْبَرُ! فُتِحَتِ الرُّومُ**»، ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى مِثْلَهَا، فَقَالَ ﷺ: «**اللهُ أَكْبَرُ! جَاءَ اللهُ بِحِمْيَرَ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا**». [مجمع الزوائد ٦/ ١٩٠ رقم ١٠١٣٩، وقال الهيثمي: رواه الطبراني [المعجم الكبير ١٣/ ٢٧ رقم ٥٤، ١٤/ ٤٦ رقم ١٤٦٣٨] بإسنادين في أحدهما حيي بن عبد الله، وثقه ابن معين وضعفه

جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر ١٧/ ٣٩٦ رقم ٤٢٧٦، وقال محققه: «الحديث بهذا الإسناد ضعيف...، ولكن للحديث شواهد تشهد لهذا الحديث فيرتقي بها إلى الحسن لغيره...»، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري ٥/ ٢٣٠ في سيرة سيدنا رسول الله ﷺ (٤٥٨٤)].

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحُدِّثْتُ عَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: ضَرَبْتُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الخَنْدَقِ، فَغَلُظَتْ عَلَيَّ صَخْرَةٌ، وَرَسُولُ الله ﷺ قَرِيبٌ مِنِّي؛ فَلَمَّا رَآنِي أَضْرِبُ وَرَأَى شِدَّةَ المَكَانِ عَلَيَّ نَزَلَ فَأَخَذَ المِعْوَلَ مِنْ يَدِي، فَضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً لَمَعَتْ تَحْتَ المِعْوَلِ بَرْقَةٌ، قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً أُخْرَى، فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ بَرْقَةٌ أُخْرَى، قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ الثَّالِثَةَ فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ بَرْقَةٌ أُخْرَى، قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله، مَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ لَمَعَ تَحْتَ المِعْوَلِ وَأَنْتَ تَضْرِبُ؟ قَالَ ﷺ: «**أَوَقَدْ رَأَيْتَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**أَمَّا الأَوَّلُ فَإِنَّ اللهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا اليَمَنَ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَإِنَّ اللهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الشَّامَ وَالمَغْرِبَ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَإِنَّ اللهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا المَشْرِقَ**».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَّهِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ حِينَ فُتِحَتْ هَذِهِ الأَمْصَارُ فِي زَمَانِ عُمَرَ ﷺ، وَزَمَانِ عُثْمَانَ ﷺ وَمَا بَعْدَهُ: «**افْتَتِحُوا مَا بَدَا لَكُمْ، فَوَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ مَا افْتَتَحْتُمْ مِنْ مَدِينَةٍ وَلَا تَفْتَتِحُونَهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَى اللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا ﷺ مَفَاتِيحَهَا قَبْلَ ذَلِكَ**.

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢١٩].

قال البيهقي: قُلْتُ: وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ مِنْ قِصَّةِ سَلْمَانَ قَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَاهُ مَنْقُولًا عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَبِي الأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ. [دلائل النبوة ٣/ ٤١٨].

وقَالَ الوَاقِدِيُّ: فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَبْدِ الله الحُكْمِيُّ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الحَكَمِ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ يَضْرِبُ يَوْمَئِذٍ بِالمِعْوَلِ فَصَادَفَ حَجَرًا صَلْدًا (الصلب الذي لا شيء عليه من نبات ولا غيره، وهو من الأرضين ما لا ينبت فيه شيء)، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْهُ المِعْوَلَ، وَهُوَ عِنْدَ جَبَلِ بَنِي عُبَيْدٍ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَذَهَبَتْ أَوَّلُهَا بَرْقَةً إِلَى اليَمَنِ، ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى فَذَهَبَتْ بَرْقَةً إِلَى الشَّامِ، ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى فَذَهَبَتْ بَرْقَةً نَحْوَ المَشْرِقِ، وَكُسِرَ الحَجَرُ عِنْدَ الثَّالِثَةِ، فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ يَقُولُ: وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ لَصَارَ كَأَنَّهُ سَهْلَةٌ (رمل ليس بالدقاق)، وَكَانَ كُلَّمَا ضَرَبَ ضَرْبَةً يَتْبَعُهُ سَلْمَانُ بِبَصَرِهِ فَيُبْصِرُ عِنْدَ كُلِّ ضَرْبَةٍ بَرْقَةً، فَقَالَ سَلْمَانُ: يَا رَسُولَ الله رَأَيْتُ المِعْوَلَ كُلَّمَا ضَرَبْتَ بِهِ أَضَاءَ مَا تَحْتَهُ، فَقَالَ ﷺ: «**أَلَيْسَ قَدْ رَأَيْتَ ذَلِكَ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي رَأَيْتُ فِي الأُولَى قُصُورَ الشَّامِ، ثُمَّ رَأَيْتُ فِي الثَّانِيَةِ قُصُورَ اليَمَنِ، وَرَأَيْتُ فِي الثَّالِثَةِ قَصْرَ كِسْرَى الأَبْيَضَ بِالمَدَائِنِ**»، وَجَعَلَ يَصِفُهُ لِسَلْمَانَ ﷺ، فَقَالَ: صَدَقْتَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ إِنَّ هَذِهِ لَصِفَتُهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ لَرَسُولُ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**هَذِهِ فُتُوحٌ يَفْتَحُهَا اللهُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي يَا سَلْمَانُ، لَتُفْتَحَنَّ الشَّامُ، وَيَهْرُبُ هِرَقْلُ إِلَى أَقْصَى مَمْلَكَتِهِ، وَتَظْهَرُونَ عَلَى الشَّامِ فَلَا يُنَازِعُكُمْ أَحَدٌ، وَلَتُفْتَحَنَّ اليَمَنُ، وَلَيُفْتَحَنَّ**

هَذَا الـمَشْرِقُ وَيُقْتَلُ كِسْرَى بَعْدَهُ».

قَالَ سَلْمَانُ: فَكُلُّ هَذَا قَدْ رَأَيْتُ. [المغازي للواقدي ٢/ ٤٤٩-٤٥٠].

قال البيهقي: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ: كُنْتُ أَنَا، وَسَلْمَانُ، وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ مُقَرِّنٍ، وَسِتَّةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فِي أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، فَحَفَرْنَا حَتَّى إِذَا بَلَغْنَا الثُّدِيَّ (وهذا العمق قد يكون أكثر من متر؛ لأن طول الرجل المتوسط متر ونصف فأكثر. مرويات غزوة الخندق ١٩٨) أَخْرَجَ اللهُ مِنْ بَطْنِ الخَنْدَقِ صَخْرَةً بَيْضَاءَ مُدَوَّرَةً، فَكَسَرَتْ حَدِيدَنَا، وَشَقَّتْ عَلَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا سَلْمَانُ، ارْقَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبِرْهُ خَبَرَ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَإِنَّا إِنْ نَعْدِلْ عَنْهَا فَإِنَّ الْمَعْدَلَ قَرِيبٌ، وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَنَا فِيهَا بِأَمْرِهِ فَإِنَّا لَا نُحِبُّ أَنْ نُجَاوِزَ خَطَّهُ، فَرَقِيَ سَلْمَانُ ﷺ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَهُوَ ضَارِبٌ عَلَيْهِ قُبَّةً تُرْكِيَّةً، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِينَا أَنْتَ وَأُمِّنَا، خَرَجَتْ صَخْرَةٌ بَيْضَاءُ مِنَ الخَنْدَقِ مُدَوَّرَةٌ فَكَسَرَتْ حَدِيدَنَا، وَشَقَّتْ عَلَيْنَا حَتَّى مَا يَحِيكُ فِيهَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ، فَمُرْنَا فِيهَا بِأَمْرِكَ، فَإِنَّا لَا نُحِبُّ أَنْ نُجَاوِزَ خَطَّكَ، فَهَبَطَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ سَلْمَانَ فِي الخَنْدَقِ، وَرَقِينَا عَنِ الشِّقَّةِ فِي شِقَّةِ الخَنْدَقِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المِعْوَلَ مِنْ سَلْمَانَ، فَضَرَبَ الصَّخْرَةَ ضَرْبَةً صَدَعَهَا، وَبَرَقَتْ مِنْهَا بَرْقَةٌ أَضَاءَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا، يَعْنِي لَابَتَيِ المَدِينَةِ، حَتَّى لَكَأَنَّ مِصْبَاحًا فِي جَوْفِ لَيْلٍ مُظْلِمٍ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَكْبِيرَةَ فَتْحٍ، فَكَبَّرَ الـمُسْلِمُونَ.

ثُمَّ ضَرَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الثَّانِيَةَ فَصَدَعَهَا، وَبَرَقَ مِنْهَا بَرْقَةٌ أَضَاءَ لَهَا مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا، حَتَّى لَكَأَنَّ مِصْبَاحًا فِي جَوْفِ لَيْلٍ مُظْلِمٍ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَكْبِيرَةَ فَتْحٍ، وَكَبَّرَ الـمُسْلِمُونَ.

ثُمَّ ضَرَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الثَّالِثَةَ، فَكَسَرَهَا، وَبَرَقَ مِنْهَا بَرْقَةٌ أَضَاءَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا، حَتَّى لَكَأَنَّ مِصْبَاحًا فِي جَوْفِ بَيْتٍ مُظْلِمٍ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَكْبِيرَةَ فَتْحٍ، وَكَبَّرَ الـمُسْلِمُونَ.

ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ سَلْمَانَ فَرَقِيَ، فَقَالَ سَلْمَانُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ! لَقَدْ رَأَيْتُ شَيْئًا مَا رَأَيْتُهُ قَطُّ، فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْقَوْمِ فَقَالَ: «**هَلْ رَأَيْتُمْ مَا يَقُولُ سَلْمَانُ؟**» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِينَا أَنْتَ وَأُمِّنَا، قَدْ رَأَيْنَاكَ تَضْرِبُ، فَخَرَجَ بَرْقٌ كَالْمَوْجِ، فَرَأَيْنَاكَ تُكَبِّرُ، وَلَا نَرَى شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: «**صَدَقْتُمْ، ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الأُولَى، فَبَرَقَ الَّذِي رَأَيْتُمْ، أَضَاءَتْ لِي مِنْهَا قُصُورُ الحِيرَةِ، وَمَدَائِنُ كِسْرَى، كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الكِلَابِ، فَأَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا، ثُمَّ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الثَّانِيَةَ، فَبَرَقَ الَّذِي رَأَيْتُمْ، أَضَاءَتْ لِي مِنْهَا قُصُورُ الحُمْرِ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الكِلَابِ، وَأَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا، ثُمَّ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِيَ الثَّالِثَةَ، فَبَرَقَ مِنْهَا الَّذِي رَأَيْتُمْ، أَضَاءَتْ مِنْهَا قُصُورُ صَنْعَاءَ كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الكِلَابِ، فَأَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا، فَأَبْشِرُوا يَبْلُغُهُمُ النَّصْرُ، وَأَبْشِرُوا يَبْلُغُهُمُ النَّصْرُ، وَأَبْشِرُوا يَبْلُغُهُمُ النَّصْرُ**».

فَاسْتَبْشَرَ الْمُسْلِمُونَ وَقَالُوا: الْحَمْدُ لله مَوْعُودٌ صَادِقٌ بِأَنَّ اللهَ وَعَدَنَا النَّصْرَ بَعْدَ الْحَصْرِ، فَطَلَعَتِ الأَحْزَابُ فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب]. [دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٤١٩-٤٢٠].

د ـ بركة يده ﷺ:

روى الطبراني وأبو القاسم البغوي عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ ﷺ قَالَ: لَـمَّا أَجْرَى أَخِي عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ فَرَسَهُ، فَدَقَّ جِدَارُ الْخَنْدَقِ سَاقَهُ، فَأَتَيْنَا بِهِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ عَلَى فَرَسِهِ، فَقَالَ: «بِسْمِ اللهِ»، وَمَسَحَ سَاقَهُ، فَمَا نَزَلَ عَنْهَا حَتَّى بَرَأَ. [سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٥٢٢].

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَأَنْزَى أَخِي عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ فَرَسَهُ خَنْدَقًا، فَضَرَبَ الْفَرَسَ، فَدَقَّ جِدَارُ الْخَنْدَقِ سَاقَهُ، فَأَتَيْنَا بِهِ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى فَرَسِهِ، فَمَسَحَ سَاقَهُ فَمَا نَزَلَ عَنْهَا حَتَّى بَرَأَ.

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَكَمِ ﷺ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ:

فَأَنْزَاهَا عَلِيَّ فَهْيَ تَهْوِي ... هَوِيَّ الدَّلْوِ مُتَّرَعَةً بِسُدْلِ
صُفُوفَ الْخَنْدَقَيْنِ فَأَهْرَقَتْهُ ... هَوِيَّةَ مُظْلِمِ الْحَالَيْنِ عَمْلِ
فَعَصَّبَ رِجْلَهُ فَمَشَى عَلَيْهَا ... سُمُوَّ الصَّقْرِ صَادَفَ يَوْمَ طَلِّ
فَقَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى عَلَيْهِ ... مَلِيكُ النَّاسِ: هَذَا خَيْرُ فِعْلِ
لَعًا لَكَ فَاسْتَمَرَّ بِهَا سَوِيًّا ... وَكَانَتْ بَعْدَ ذَاكَ أَصَحَّ رِجْلِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَادَةَ: يُقَالُ إِذَا عَثَرَتِ النَّاقَةُ: لَعًا لَكِ؛ أَيِ: ارْتَفِعِي وَاسْتَعْلِي، قَالَ الْأَعْشَى:

بِذَاتِ لَوْثٍ عَقَرْنَاهُ إِذَا عَثَرَتْ ... فَالنَّعْشُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ يُقَالَ لَعَا

[مجمع الزوائد ٦/ ١٩٤-١٩٥ رقم ١٠١٤٧، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه، ويعقوب بن محمد الزهري ضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان].

هـ ـ النبوءة بقتل عمار بن ياسر ﷺ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ـ أَبُو قَتَادَةَ ـ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لِعَمَّارٍ ﷺ حِينَ جَعَلَ يَحْفِرُ الْخَنْدَقَ وَجَعَلَ يَمْسَحُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ: «بُؤْسَ [يَا وَيْسَ] ابْنِ سُمَيَّةَ! تَقْتُلُكَ فِئَةٌ بَاغِيَةٌ». [مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٩١٥)، والسنن الكبرى للنسائي ٥/ ١٥٦ رقم ٨٥٤٨].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ: «تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ».

[مسند أحمد ٣٧/ ٢٩٨ رقم ٢٢٦١٠، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ بِبِنَاءِ المَسْجِدِ، فَجَعَلنَا نَنْقُلُ لَبِنَةً لَبِنَةً، وَكَانَ عَمَّارٌ يَنْقُلُ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَتَتَرَّبُ رَأْسُهُ، قَالَ: فَحَدَّثَنِي أَصْحَابِي وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ جَعَلَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ: «**وَيْحَكَ يَا ابْنَ سُمَيَّةَ! تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ**».

[مسند أحمد ١٧/ ٥٣ رقم ١١٠١١، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم].

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ﵂ قَالَتْ: مَا نَسِيتُ قَوْلَهُ ﷺ يَوْمَ الخَنْدَقِ، وَهُوَ يُعَاطِيهِمُ اللَّبِنَ، وَقَدْ اغْبَرَّ شَعْرُ صَدْرِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنَّ الخَيْرَ خَيْرُ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالـمُهَاجِرَهْ

قَالَ: فَرَأَى عَمَّارًا، فَقَالَ: «**وَيْحَهُ [وَيْحَكَ] ابْنُ سُمَيَّةَ تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ**»، قَالَ: فَذَكَرْتُهُ لِمُحَمَّدٍ يَعْنِي ابْنَ سِيرِينَ، فَقَالَ: عَنْ أُمِّهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، أَمَا إِنَّهَا كَانَتْ تُخَالِطُهَا، تَلِجُ عَلَيْهَا. [السنن الكبرى للنسائي ٧/ ٤٦٧ رقم ٨٤٩٢، ٨٤٩٣، ومسند أحمد ٤٤/ ٨٣، ٢٧٩ رقم ٢٦٤٨٢، ٢٦٦٨٠، وقال الشيخ الأرناؤوط عنها: إسناده صحيح على شرط مسلم، ومجمع الزوائد ٦/ ١٩٣ في المغازي والسير (١٠١٤٣)، وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو يعلى [مسند أبي يعلى ٣/ ٢٠٩ رقم ١٦٤٥، وقال الشيخ أسد: إسناده حسن].